

التسامح عند فولتير وابعاده الإنسانية

Tolerance in Voltaire and Its Human Dimensions

الدكتور سعيدي الوناس

المدرسة العليا للأساتذة – بوزريعة – الجزائر

البريد الإلكتروني: saidi.lounes@ensb.dz

تاريخ الاستلام: 2026/05/30 تاريخ القبول: 2026/09/10 تاريخ النشر: 2026/10/01

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على مبحث هام في الخطاب الفلسفي عند فولتير (1694، 1778) ألا وهو: التسامح ونقد التعصب الديني والفكري الذي سعت ثقافة الحداثة الغربية إلى تجاوزه بعدما ذاقت المجتمعات الأوروبية ويلات الحروب الأهلية الطائفية والمذهبية. فقد كرس فولتير كتاباته للتسامح واحترام حرية الفكر والمعتقد ونبذ التعصب الديني الذي يغذي العنف والحرب ويشوه جوهر الإنسان، داعياً إلى تطبيق مبادئ العقل والعدل والمساواة لتحقيق فضائل السلام العالمي وفق قيم التسامح الكوني.

الكلمات المفتاحية: التسامح، التعصب، الدين، السلام الكوني

This study aims to examine an important theme in Voltaire's philosophical discourse (1694–1778), namely tolerance and the critique of religious and intellectual fanaticism, which Western modern culture sought to overcome after European societies experienced the horrors of sectarian and doctrinal civil wars. Voltaire devoted his writings to tolerance, respect for freedom of thought and belief, and the rejection of religious fanaticism that fuels violence and war and distorts the essence of humanity. He called for the application of the principles of reason, justice, and equality in order to achieve the virtues of global peace in accordance with the values of universal tolerance.

Keywords: tolerance, fanaticism, religion, global peace.

***المؤلف المرسل: سعيدي الوناس**

مقدمة:

يجمع أغلب الباحثين بأن عصر التنوير يشكل نقلة نوعية تاريخية حاسمة في تاريخ الحضارة الأوروبية، بحيث تعد الانطلاقة الأولى التي تبلورت فيها المبادئ الفكرية والأيديولوجية والأسس الاجتماعية والسياسية التي لا يزال الغرب يعيش وفقها حتى اليوم.

وقد قاد حركة التنوير مجموعة من الفلاسفة والمفكرين الأوروبيين الذين ساهموا بقدر كبير في نقد الأوضاع المزرية السائدة في مجتمعاتهم من خلال معارضة الكنيسة الكاثوليكية التي سيطرت على الفكر والسلطة ، وكذا نشرها للخرافات وودعمها للأنظمة الاقطاعية الرجعية ومعارضتها للعلم والحرية .

ويعد "فولتير" (1694- 1778) "Voltaire" من أبرز فلاسفة التنوير الفرنسيين الذين اقترنت أسماؤهم بمحاربة القهر والتطرف الكنسي السائد آنذاك في فرنسا، والنضال من أجل تعزيز روح التسامح الديني وتحرير الإنسان من الجهل والتعصب والدفاع عن ضحاياه، وقد رأى فولتير في التسامح فضيلة كونية عليا ومبدأ إنسانيا جوهريا يركز على العقلانية وحرية الضمير ووسيلة لتحقيق السلام العالمي والحرية المدنية، مؤكدا على أن الدين وجد لسعادة الناس لا لشقاءهم وأن إكراه الناس على الاعتقاد يناقض طبيعة الإنسان.

من هذا المنطلق فإن الاشكالية التي تواجهنا تتمثل في:

- ما هي أبعاد التسامح الديني عند فولتير؟ وما هي سبل تحقيقه؟ وما أثره على المجتمعات الأوروبية؟
ويترب عن هذه الاشكالية جملة فرضيات منها:

1. يترب عن التسامح الديني سلام ووثام اجتماعي بين أفراد المجتمع، لأنه كلما ساد التسامح وانتشر بين الأفراد والمجتمعات كلما قلت النزاعات الطائفية والمذهبية والعرقية وضعف التعصب الديني
2. يمكن التسامح الديني من التعايش السلمي بين الأفراد والشعوب ويعزز التعاون والتفاهم بينهم من خلال تقبل الاختلافات الدينية والثقافية وعدم الاكراه على الدين " لا إكراه في الدين، والمحافظة على الحقوق المشتركة بينهم.

أهداف البحث:

تكمن أهداف البحث في ابراز قيمة التسامح عند "فولتير" من خلال دعوته إلى نبذ التعصب الديني وتحقيق السلم الاجتماعي مستعينا بالتاريخ والمنطق لتبيان أن الدين وجد السعادة البشر لا لتعاستهم، وأن استقراء التاريخ، يبين أن التعصب كان دائما سبب قيام الحروب ودمار المجتمعات.

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث في كونه يكشف عن فلسفة " فولتير" في التسامح والتي تقدم للأمم الحديثة أساسا عقلانيا وأخلاقيا للتعايش السلمي، عبر الدعوة إلى حرية الاعتقاد ورفض التعصب الديني وبناء مجتمعات أكثر سلاما واستقرارا في ظل احترام مبدأ التنوع والتعدد والاختلاف. ويعد إعلان الأمم المتحدة بشأن المبادئ المتعلقة بالتسامح دليلا قاطعا على أهمية تعزيز ثقافة السلام بين الشعوب وفقا لفلسفة " فولتير"

منهجية البحث:

اعتمدنا في تحليل إشكالية البحث على المنهج النقدي التاريخي، مع الاستعانة بالمنهج التحليلي، والنقد التاريخي تم استخدامه من أجل فهم الظروف التاريخية التي دفعت فولتير لاهتمامه بفكرة التسامح والتي كان أبرز أسبابها الحروب الدينية التي سادت أوروبا عامة، وفرنسا موطنه على الخصوص. وهذا ما استقرأناه من خلال مؤلفاته،

خاصة كتابه: "رسالة في التسامح"، أما المنهج التحليلي فقد اعتمدنا عليه في تفكيك بعض المفاهيم الواردة لديه، والتي شكلت جوهر فلسفته في التسامح، مثل: التسامح، التعصّب، القانون الطبيعي، القانون الإنساني، الحرية، المجتمع المدني.. الخ.

أولاً: جذور فكرة التسامح عند " فولتير «: المفهوم والنشأة

مفهوم التسامح لغة واصطلاحاً:

المعنى اللغوي للتسامح: تشتق كلمة التسامح "Tolérance" في الانجليزية من الكلمتين: "Tolère" وتعني: يقاسي و "Tolerantia" وتعني لغوياً: التساهل (عبد الله، 2005، ص 17)، وتستخدم كلمة "Tolérance" في اللغة الانجليزية بمعنى: استعداد المرء لتحمل معتقدات وممارسات وعادات تختلف عما يعتقد به، وتشير كلمة: "Tolération" بدرجة أكبر إلى التسامح الديني، أي السماح بوجود الآراء الدينية وأشكال العبادة المتناقضة أو المختلفة مع المعتقد السائد (المرجع نفسه، ص 17).

والتسامح في اللغة العربية مشتق من السماحة، أي الجود. يقال: اسمح، وسامح، أي وافقني على المطلوب، وأسمحت الدابة، أي انقادت، والمسامحة: المساهلة وسمح: جاد وأعطى عن كرم وسخاء (ابن منظور، 1405 هـ، ص 489).

فالدلالة اللغوية لمفهوم التسامح تستبطن المنة والكرم، وتشير إلى وجود فارق أخلاقي بين المتسامح (بالكسر) والمتسامح (بالتفتح)، فليس هناك مساواة بين الطرفين، وإنما يد عليا واهبة، ويد سفلى متلقية، وهو مقتضى المنة والكرم دائماً (ماجد، 2008، ص 20). وقد عرف القاموس الأمريكي «التسامح» بأنه: «تحمل أو تدريب على قبول طبيعة ومعتقدات وسلوك الآخرين دون منع أو معارضة، سواء اتفق معها أو اختلف (the American Heritage Dictionary, 1976, p 135)، ويشير أندرو كوهين إلى أن المسامح يعني: «امتناع المرء المبدئي والمقصود عن التدخل في شؤون الآخرين المخالف عند ظهور الخلاف مع امتلاك القدرة على التدخل. (Jason Cohen, 2004, P115).

التسامح اصطلاحاً:

التسامح بهذا المعنى، يأخذ بعداً آخر، يتضح من خلال تبلور هذا المفهوم ضمن بيئته الغربية، فمفهوم التسامح "Tolerance" ظهر في القرن السابع عشر والثامن عشر لتفادي تداعيات الحروب والصراعات بين المذاهب والأديان والاتجاهات الفكرية والفلسفية المختلفة التي شهدتها أوروبا إبان القرون الوسطى، وأيضاً من أجل التوصل إلى صيغ مناسبة تضمن حقوق الإنسان وحرية الرأي والتعبير بشكل متساو لجميع أفراد الشعب، وذلك بعد إقصاء سلطة الكنيسة في الحياة السياسية" (ماجد، 2008، ص 20)

يحدد محمد عابد الجابري المعنى الاصطلاحي الحديث للتسامح بأنه يعني: " لا أن يتخلى المرء عن قناعاته ولا أن يكف عن إظهارها والدفاع عنها والدعوة لها، بل يعني الامتناع عن استعمال أية وسيلة من وسائل العنف والتجريح، وبكلمة واحدة: احترام الآراء وليس فرضها" (محمد عابد، 1997، ص 28)، كما يعرف محمد أركون التسامح بأنه:

" الاعتراف للفرد المواطن بحقه في أن يعبر داخل الفضاء المدني عن كل الأفكار السياسية والدينية والفلسفية التي يريدها ولا أحد يستطيع أن يعاقبه على آرائه إلا إذا حاول فرضها بالقوة والعنف على الآخرين » (محمد، 2000، ص 243)

أما ماجد الغرباوي فيرى بأن التسامح " موقف إيجابي متفهم من العقائد والأفكار، يسمح بتعايش الرؤى والاتجاهات المختلفة بعيدا عن الاحتراب والإقصاء على أساس شرعيه الآخر المختلف سياسيا، دينيا ... وحرية التعبير عن آرائه وعقيدته" (ماجد المرجع السابق، ص 20)

أما جميل صليبا فيعرف التسامح بقوله : "هو أن يحترم المرء آراء غيره لاعتقاده أنها محاولة للتعبير عن جانب من جوانب الحقيقة، وهذا يعني أن الحقيقة أغنى من أن تنحل إلى عنصر واحد ، وأن الوصول إلى معرفة عناصرها المختلفة يوجب الاعتراف لكل إنسان بحقه في إبداء رأيه حتى يؤدي اطلاعنا على مختلف الآراء إلى معرفة الحقيقة الكلية، فليس تسامحنا في ترك الناس وما لهم عليه من عاداتهم واعتقاداتهم وآرائهم منة نجود بها عليهم ، وإنما هو واجب أخلاقي ، ناشئ عن الاحترام الشخصية الإنسانية (جميل ، 1979 ، ص 272)، وعلى العموم فإن التسامح يعني الاحترام والقبول والتقدير للتنوع الثري لثقافات عالمنا ولأشكال التعبير وللصفات الإنسانية لدينا ، ويعزز هذا التسامح بالمعرفة والانفتاح والاتصال وحرية الفكر والضمير والمعتقد، وأنه الوئام في سياق الاختلاف ... إنه الفضيلة التي تيسر قيام ثقافة السلام محل ثقافة الحرب"

2- الخلفية التاريخية لفكرة التسامح عند "فولتير":

ثمة سياقات تاريخية ولدت الحاجة إلى الاهتمام بالتسامح في المجتمعات الغربية، وهي تتعلق بالظروف الدينية والسياسية غير المستقرة التي مرت بها أوروبا على إثر الصراعات والحروب الدينية الدموية التي دارت بين أكبر مذهبين في المسيحية وهما: الكاثوليك والبروتستانت في القرن السادس عشر والقرن السابع عشر، وكان أبرزها الحروب الدينية الفرنسية (1562، 1598) وحرب الثلاثين عاما (1618، 1648) التي مزقت أوروبا الوسطى. في هذه الأثناء ظهرت كلمة "التسامح" أولا في كتابات الفلاسفة في القرن السابع عشر أو قل في زمن الصراع بين البروتستانت والكنيسة الكاثوليكية، حيث كتب جان بودان (1530 Jean Bodin، 1596) ومونتسكيو (1689 Montesquieu، 1755) و (سبينوزا 1632 B. Spinoza، 1677) «في البحث اللاهوتي» و (روجر وليامز R. Williams، 1603، 1683) في رسالتيه : « العقيدة الدموية للاضطهاد بسبب الضمير 1644 و « العقيدة الأكثر دموية » 1652 واجون ملتون (1608 John Milton، 1674) و (جون لوك John Locke، 1632، 1704) في رسالة في التسامح : " Traité sur la Tolérance " في عام 1689 ، وغيرهم ، وجميعهم دعوا إلى ضرورة التسامح بين المخالفين في الرأي والعقيدة وحق الاختلاف واتخاذ العقل ميزانا وحكما (صالح و ساطع نسيب ، 2014 ، ص 139) ، وبعدها صدر كتاب " فولتير Voltaire الشهير : " رسالة في التسامح " في عام 1763م وكان ردا على قضية مظلمة تتعلق بالتعصب الديني وبالاضطهاد السياسي. وقد طرح مفهوم التسامح آنذاك إشكالا، فقد اعتبر أولا بأنه «التحمل السلبي والقبول» ثم أصبح المفهوم يعني «السماح المتصل بالحرية الدينية» ليطرح القديس توما التكويني Thomas d'Aquin، الأسئلة

الجمهورية في تلك الآونة: هل تتسامح مع غير المؤمنين؟ وهل يمكن أن نسمع بوجود ديانتين أو أكثر، أو بالأحرى، هل تتسامح معهما في مملكة مسيحية واحدة؟ وكان اللاهوتيون يفضلون في البداية «السماح» بمعنى «اعطاء الإذن» على «التسامح» وثمة بعضهم إلى أن «السماح لا يعني بالضرورة تأييد ما عليه أصحاب الأديان المغايرة» (جوزيف 2009، ص 23، 24) وقد سعى العديد من المفكرين إلى صياغة التصورات النظرية لمفهوم التسامح، وناقشوا مسوغاته الأخلاقية، وتحثوا فيما إذا كان تحقيق التسامح أمرا ممكنا، وكذا التحري عن السبيل الأنجح لممارسته وتنفيذه على أرض الواقع.

في هذه الأثناء، فإن فولتير عاصر تعصب الكنيسة الكاثوليكية ضد البروتستانت واضطهادهم وطردهم من البلاد، خصوصا في عهد لويس الرابع عشر (1638-1715، Louis XIV) الذي تعهد بحماية الدين المسيحي ورجاله وضرب خصومهم بيد من حديد، فقد كان اللاهوت المسيحي يدعم السلطة السياسية، والسلطة السياسية تدعم اللاهوت وترتبط به بشكل لا ينفصل، وعلى هذا النحو تحصل العلاقة بين الملك ورجال الدين وتتوثق عراها بشكل لا ينفصم (صالح، 2005 ص 134-135)

هكذا رأى فولتير كيف أدى التعصب الكنسي إلى الظلم والقمع والحروب الدينية، وكيف حولت الكنيسة الحقيقة إلى احتكار من خلال معارضتها للعقل والعلم وعليه، فهناك علاقة وطيدة بين نشوء فكرة التسامح عند فولتير وبين الدور الذي لعبته الكنيسة إبان هيمنتها في القرون الوسطى من تعصب ديني واستبداد سياسي وقهر فكري. وعليه، يتضح أن فكرة التسامح في الغرب أو في فرنسا تحديدا، موطن فولتير، إنما جاءت وليدة حاجة، ولم تكن وليدة ثقافة تتجسد غير الممارسات السلوكية لمكونات المجتمع الغربي دولا وجماعات وأفرادا، وهذه الحاجة المتولدة جاءت بعد معاناة من قضية اللاتسامح الديني، والصراع الاجتماعي، والتكالب على السلطة والاستغلال الاقتصادي، واضطهاد الأطفال والأقليات والأجناس (عبد الجليل، 2023 ص 94)، فكانت الدعوة إلى التسامح التي نادى بها فلاسفة التنوير وعلى رأسهم: فولتير هي المخرج من الحروب الأهلية التي استمرت طويلا بين المذاهب المسيحية، ثم لم تلبث أن صارت هذه الفكرة، التسامح، قيمة مدنية مناطها الحرية الفردية (هبة رؤوف، 2000، ص 26)

3 - قضية (جان كالاس):

قضية (جان كالاس Jean calas) هي مثال مأساوي للتعصب الديني، لرجل تاجر بروتستانت اتهم بقتل ابنه (أنطوان) الذي أراد التحول للكاثوليكية (ولديورانت، 1979، ص 294)، «والواقع أن سبب وفاته كانت بسبب خسارة كل أمواله في القمار، فأختار ذلك اليوم لينفذ ما عقد عليه العزم» (فولتير، 2009، ص 10) أي أنه انتحر، وعلى إثر ذلك انتشرت إشاعة بأن الوالد (كالاس) هو قاتل (أنطوان) ابنه: «فهاجت عامة الشعب في مدينة تولوز Toulouse، وطالبوا بمحاكمة الرجل فورا، وتأثر القضاة بهيجان العامة، الرعاع، وغليان المشاعر الطائفية الحامية لدى الأغلبية الكاثوليكية، فأصدروا حكما متسرعاً بتعذيب الأب على الدولاب وكسر عظامه حتى يعترف بجريمة لم يرتكبها» (صالح، 2005، ص 216)، وتم اعدام (كالاسا) ظلما وبهتانا، وهو الرجل البالغ من العمر ثمانين وستين عاما، وبعد «بضعة أيام أو بضعة أسابيع، اكتشفوا أن الرجل بريء تماما من التهمة، فخافوا من الفضيحة،

وتدخلت السلطات العليا لخنق الموضوع حتى لا ينتشر، ولكنه انتشر على الرغم من كل ذلك، وعندما وصلت أصداؤه إلى " فولتير " جن جنونه، فهب على الأصوليين الكاثوليكين كل أنحاء أوروبا، وليس فرنسا فقط، واستطاع أن يحصل من السلطات القضائية على إعادة المحاكمة من جديد، وهذا ما كان، وثبت براءة (كالاس) بالبرهان القاطع، وعرف الجميع أنه ذهب ضحية التعصب الطائفي الأعمى» (صالح، مرجع سابق، ص 216). وعلى إثر هذه القضية : كتب " فولتير " كتابه الشهير : " رسالة في التسامح " Lettre sur La Tolerance " ، والذي اعتبر مرافعة جريئة في وجه التعصب الذي كان سببا في وفاة كالاسا يقول " فولتير " منتقدا المتعصبين الكاثوليكين : " إذا كنتم تعتبرون أن عدم الاعتقاد بالدين المهيمن أو دين الأغلبية يمثل جريمة فإنكم تدينون بذلك آباءكم من المسيحيين الأوائل عندما كانوا لا يزالون أقلية في الإمبراطورية الرومانية ... ولكن على فرض أن كلامكم صحيح ، فهل ينبغي أن يهيم ديننا عن طريق الحقد والقلق والتعذيب والإرهاب؟ فكلما كان الدين المسيحي إلهيا، أصبح ممنوعا على الإنسان أن يتحكم به، فإذا كان الله هو الذي صنعه، فإن الله قادر على دعمه وحمايته بدونكم ... أخيرا، هل تريدون دعم دين الله عن طريق الجلادين، والجلادون هم الذين قتلوا مؤسسه: أي المسيح؟ أقول ذلك وأنتم تعلمون علم اليقين أن المسيح لم يدع في حياته كلها إلا إلى الطيبة والتسامح والصبر ويشهد على ذلك الانجيل كله» (Versailles 1232, 1994, pp: 1232)

ولأن مأساة (جان كالاس) كانت نتيجة التعصب الديني، رأى فولتير " أن من مصلحة الإنسان أن يتأمل دينه، ليعرف هل يجب أن يكون مصدر رحمة أم مصدرا للهمجية، وهذا يعني أن خطاب فولتير التسامحي لم يأت من فراغ، ولم يكن خطابا نظريا تنظيريا باردا ينزع نحو التجريد الذهني الساكن، ويتوخى البحث عن عالم المثل، وإنما خطاب اتخذ من الواقع أساسا، ومن واقعة (جان كالاس) حجة (زكي: 2014/04/10: <https://www.alyoum.com> تم تصفح المقال: 2026/01/11 ، 11:35)

ثانيا: مبادئ التسامح عند فولتير:

يعد كتاب: «رسالة في التسامح» إحدى المعارك الكبرى التي خاضها " فولتير " من أجل ترسيخ التسامح ونبذ التعصب وقبول الآخر المختلف دينيا أو طائفيا، وهو عمل فلسفي مؤثر صدر عام 1763 دفاعا عن حرية المعتقد والحق الطبيعي في الاعتقاد والتفكير وهو كتاب يعد مرجعا أساسيا في أدبيات التنوير المناهضة للاضطهاد الديني ودعم التعايش السلمي.

1- مفهوم التعصب عند فولتير ونقده:

تعريف: التعصب Fanatisme في اللغة العربية هو الميل الشديد للشيء، يقال : تعصب للرجل، أي مال إليه وجد في نصرته ... وتعصب في الدين والمذهب : كان غيورا فيهما ومدافعا عنهما ، (جميل، مرجع سابق، ص 305) ، أما اصطلاحا، فيقصد به : رد المغالاة في الانتماء إلى جماعة أو دين أو عقيدة ... وعليه، فالشخص المتعصب، هو المتطرف المتحمس لعقيدته والمتشبث بها إلى حد الانغلاق على اتباع الديانات الأخرى (عيسى، 2012، ص 16) ، وقد وصفه " فولتير بأنه « جنون ديني خفي ، فظ ، ومرض يصيب العقل ويعدي كما يعدي الجدري ، وتنقله الكتب أقل

مما تنقله الاجتماعات والخطب، اذ من النادر أن يحتد المرء وهو يقرأ، لأن أعصابه تكون هادئة، ولكن حينما يخطب رجل متحمس ذو خيال قوي في أناس ذوي مخيلات ضعيفة، فإن عيناه تقذفان النار، وتدب هذه النار في السامعين، وتؤثر حركاته ونبراته في أعصابهم، ويصبح الخطيب أن الله يراكم، فجاهدوا في سبيله، فيذهبون ويجاهدون، والتعصب إذا قورن بالإيمان بالخرافات، كالهذيان إذا قورنت بالحى وكالغيب إذا قورن بالغضب» (كريستون، 1984، ص 122، 123).

إن التعصب يستفحل كلما كان الإنسان المتعصب منغلقا داخل قوقعة دينية مسكونا بيقين مطلق مقدس متعال لا يقين قبله ولا بعده، بأن معتقده هو الأصح، ومن خالفه في المعتقد فإن ماله هو العقاب، إنه إنسان لا يفهم كيف يمكن أن يوجد دين آخر غير دينه، لذلك يلجأ إلى استصغار الآخر المختلف وتحقيره واعتباره هائما غارقا في الضلال والتهيه، بل إنه يدخل في صراع مصيري معه قصد الغائه وإبطاله.. وكل صراع يكون فيه العقل غائبا يميل دائما الى الهمجية والعنف والفوضى (إبراهيم. 8 جوان 2023). والتعصب هو العلة الأولى للقمع ووجهه الأول من حيث أنه يتوجه أولا وأساسا لحرية الغير الذاتية في الاجتهاد المغاير، فالمتطرف هو الذي يسعى بكل الوسائل إلى مصادرة اجتهادات الآخرين، وذلك في اطار الإيمان المبدئي بأنه وحده الذي يمتلك الحقيقة، وهذه المصادرة لحرية الغير في الاجتهاد هي شكل من أشكال ممارسة العنف فلا يجوز أن يؤدي الخلاف في الرأي أو في الفكر أو في الاعتقاد إلى إفساد ما بين الناس من علاقات، وهذا ما يعبر عنه القول المشهور "الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية"، وكما أعطي لنفسه الحق في أن يكون لي رأيي الخاص ووجهة نظري المستقلة، فكذلك ينبغي أن أعطي الحق ذاته للآخر، فمن حقه أيضا أن يكون له رأيه الخاص ووجهة نظره المستقلة، بل ومن حقه أن يكون له معتقده المختلف في الفصل الثالث من كتابه: «رسالة في التسامح» انتقد فولتير بشدة ظاهرة التعصب الديني وفضح مسبباته التاريخية، حيث وصف كيف حول رجال الدين أوروبا إلى ساحة صراعات دموية ولكنه أكد على أن المشكلة ليست في الدين نفسه، بل في رجال الدين الذين استغلوا السلطة باسم الدين لإثارة الصراعات والحروب.

وتمثل قضية إعدام (كالاس) بالنسبة لفولتير رمزا صارخا للظلم ومأساة إنسانية تجد أساسها في التعصب الديني، الأمر الذي دفع فولتير بشن هجوم شرس ضد الكنيسة الكاثوليكية، وتأسف أن الديانة المسيحية التي كان من الأجدر أن تكون ملهمة البشر في التسامح أكثر من غيرها من الديانات، ولكن «ظل المسيحيون أكثر البشر افتقارا للتسامح» (فولتير، 2017 ص 310) بسبب النزاع الطائفي والمذهبي الذي ساد أوروبا قرونا طويلة.

إن التعصب، خاصة الديني منه، مخالف للديانات جميعا، ومناقض للقانون الطبيعي الذي يتأسس عليه القانون الانساني (الوضعي) والذي يحكمه العقل وتستند إليه المبادئ الانسانية والأخلاقية الفطرية المشتركة بين البشر والتي تدعو الى نبذ العنف وعدم الإيذاء الآخرين. يلخص فولتير هذا المبدأ في مقولته الشهيرة: "لا تفعل ما لا ترغب أن يفعل بك"، «والحال أنا لا نفهم كيف يمكن الإنسان انطلقا من هذا المبدأ، أن يقول لإنسان آخر: «أمن بما أومن به أنا، وبما لا تؤمن به أنت وإلا كان مصيرك الهلاك» (فولتير، 2009، ص 147)، ومعنى هذا أنه لا يحق لأحد أن يكره أو يجبر الآخر المختلف على أن يكون مثله في العقيدة والتفكير والرأي، لأن الإيمان هو اختيار، يتم عن قناعة قلبية لا عن ضغط أو قوة، وعدم الاكراه على الدين هو قاعدة أساسية في الأديان السماوية.

"ويسرد فولتير شهادات لرجال دين يرفضون التعصب وينبذون الاكراه في الدين مثل (لاكتانس) Lactance* الذي يرى أن الدين المفروض بالقوة ليس ديناً ، وأن المطلوب هو الاقناع وليس الإكراه ، ولا يوجد إنسان ولا الله يريد عبادة بالقوة، كما تقول شهادة أخرى ، وكما ينقل عن قديس آخر ، فإنه لبدعة مقبولة أن نريد أن نستميل بالقوة والضربات والسجون من لم يستطيع الاقناع بالعقل ، ولا شيء يضاد الدين أكثر من الإكراه، كما يرى آخر ، وكما ترى شهادات آخرين، فإن بإمكان العنف أن يصنع منافقين ، فالدين ، مثل الحب ، لا تنفع معه الأوامر ولا الإكراه (محمد ، 24 مايو 2021 ، ص 34 ، 36)

في هذا السياق، يفسر فولتير كيف أنه من الصعوبة بمجال، إقناع الجميع بحقيقة واحدة دون اللجوء للقوة والتعصب، مشيراً أن التسامح فضيلة أكبر من العلم ذاته حتى لو افترضنا أن هناك حقيقة مطلقة، فالتسامح مع الآخر المختلف بعد أعظم من إقناعه بالحقيقة بالقوة. يقول: «أنه لمن منتهى الحمق أن يدعي مدع أنه قادر على حمل البشر قاطبة على التفكير بطريقة واحدة» (فولتير، 2009 ص 159)

يذكر أنه في الفصول من الحادي عشر وحتى الرابع عشر من كتابه: رسالة في التسامح يسرد " فولتير " شرحاً مفصلاً ليثبت أن التعصب لم يكن أبداً "عقيدة «. ثم يذكر بتعاليم المسيح التي تنص في أن يكون قد دعا لغير التسامح والمحبة والإخاء ، ويذكر في الفصل الخامس عشر شهادات ومقولات للقساوسة تؤكد أن المسيحية لعقيدة كانت ضد الإكراه والتعصب والتشدد والعنف بشكل لا أحد يمكن التشكيك فيه، ومع هذا يتساءل " فولتير " في الفصل الثامن عشر من الكتاب : ما هي الحالات الوحيدة التي يكون فيها التعصب من مستلزمات القانون البشري؟ يقول : « كي لا يكون من حق حكومة من الحكومات أن تعاقب أخطاء البشر، يلزم ألا تكون هذه الأخطاء جرائم ، وهي لا تغدو جرائم الا عندما تخل بأمن المجتمع، وهي تخل بهذا الأمن عندما تعترض على التعصب الديني ، فعلى البشر ، إذا ، أن يبدؤوا بالتححرر من كل تعصب ديني كيما يستأهلوا معاملتهم بتسامح » (فولتير ، 2009 ، ص 145)، ولعل هذه العبارة من أعمق وأبدع العبارات التي تعكس الحالة التي يكون فيها التعصب من مستلزمات القانون البشري والدولة، ففي الواقع، وبحسب فولتير، لا توجد حالات يستلزم فيها التعصب كهدف بل إن التعصب يكون ضرورياً فقط لمواجهة للتعصب الآخر الذي يزرع الفتنة بحيث يصبح خطراً على أمن وسلامة المجتمع ككل، وهذا برأي فولتير ليس تعصبا بل دفاع عن كيان الدولة واستمرارها.

2- التسامح بدل التعصب:

يتساءل " فولتير " في كتابه «المعجم الفلسفي عن مفهوم التسامح، ويجب قائلًا: " هو خاصية الإنسانية، فنحن كلنا معجونون من ضعف وأخطاء، لتسامح مع بعضنا عن تفاهاتنا، هذا هو القانون الأول للطبيعة: (فولتير، 2017 ، ص 309)، بحيث يرى أن استقصاء الطبيعة الإنسانية واكتشاف ما تحتويه من إمكانية الضلال والزيغ تجعل القول بالتسامح ضرورة طبيعية، وأن تعميمها يضمن لكل واحد الاستفادة منها، لأن لا أحد محمي من الوقوع في الخطأ.

في كتابه: «رسالة في التسامح» الذي يعد المرجع الأول والكلي لفهم فلسفة التسامح عنده، فضح " فولتير" الجرائم والمجازر البشعة التي كانت الكنيسة الكاثوليكية تقوم بها ضد الهراطقة والديانات المخالفة. وتعد رواية « موجز مصرع جان كالا» التي وردت في الفصل الأول من كتابه السبب المباشر في تحول « فولتير» من رجل ساخر غير مبالي ، إلى شخص جدي غاضب فقد وقف فولتير ضد اضطهاد أولئك الذين يرفضون الآراء المخالفة بدون أي مبرر، ويشبهه من يضطهد الآخرين بأنه وحش، يقول : « ما كنت لأهتم بالعقيدة لو اقتصر رجال الدين على إقامة شعائهم وتسامحوا مع الآخرين الذين يختلفون عنهم في المذهب، ولكن موقفهم وتعصبهم الذي لا تجد له أثرا في الانجيل هو مصدر النزاع الدامي في التاريخ المسيحي ... وأن التعصب المقرون بالخرافات والجهل كان أساس البلاء في جميع القرون ، ولن يتحقق السلام الدائم مالم يتسامح الناس مع بعضهم، ويتعلم كل واحد كيف يتسامح مع من يخالفه الدين والسياسة والفلسفة ، هكذا وبحسب فولتير: " لا يمكن تجاوز التعصب الديني ووحشية الإنسان إلا بالتسامح ، فهو العلاج الوحيد للانقسام الذي تعرفه الكنيسة منذ أمد من القرون » (لا لاند، 2002، ص 1460)

وتساءل " فولتير" عما إذا كان التسامح خطرا؟ ردا على أولئك الذين لم يعرفوا قيمة التسامح وأبعاده الإنسانية والأخلاقية، فيقول: «إن هذا العقل الوديع – يقصد التسامح، إنساني يحث على الحلم، يخنق الفتنة في المهد، ويشد من أزر الفضيلة يحبب الانصياع للقوانين، فيعززها أكثر مما تفعله القوة.. ثم ألا يتعين علينا أن نأخذ في اعتبارنا كم بات التعصب والاندفاع موضوع سخريه لدى شرفاء الناس؟ (فولتير، 2009 ص 166، 169)

ثم يؤكد على أن استقرار التاريخ يؤكد أن التسامح لم يكن أبدا سببا في خلق الفتن، وإنما اللاتسامح والتعصب هما اللذان كان سببا في خراب الشعوب وتدمير الأم.. يقول: «والتسامح لم يتسبب أبدا في إثارة الفتن والحروب الأهلية، في حين أن عدم التسامح قد عم المذابح على وجه الأرض» (فولتير، ويليامز، ص 39)

وعن كيفية ممارسة فضيلة التسامح، يرى " فولتير" أنه ليس بالأمر الصعب، فالقضية تتوقف على إرادة الساسة في تنفيذ وقبول اعطاء الحق للأقليات، مع الحفاظ على القانون دون مساس بأمن الدول، على عكس ما ينتج عن التعصب من تقسيم وإثارة واشعال للفتن والأحقاد بين الناس. إذ « كلما زادت عدد الطوائف والنحل ، خفف خطورة كل واحد منها على حدة ، فالتعدد وقبوله يضعف العصبية ، وبالتالي عندما تخضع جميعها دون تمييز للقانون العادل الرادع، ستبقى تحت السيطرة، مذكرا أن هناك سبلا يمكن للدولة من خلالها الاستفادة من التنوع والاختلاف دون أن يكون مصدرا للخطر، فإن احترام حق الأقليات الدينية في ممارسة عقائدها وشعائريتها يحكم تعدد الممارسات الدينية داخل الدين الواحد ، وتعدد الأديان داخل المجتمع الواحد، هذا التعدد الذي هو ظاهرة إنسانية حضارية، لا يمكن تجاوزها ولا القفز عليها، وبالتالي، فالتسامح هنا يعني التخفيف إلى أقصى حد ممكن من الهيمنة المقصودة أو غير المقصودة التي يمارسها مذهب الأغلبية داخل الدين الواحد، ودين الأكثرية داخل المجتمع الواحد » (محمد عابد، مرجع سابق، ص 29) ، ذلك أنه « ليس من حق أحد أن يقتحم، باسم الدين، الحقوق المدنية والأمور الدنيوية، فالتسامح الديني يستلزم ألا يكون للدولة دين لأن « خلاصة النفوس من شأن الله وحده، ثم إن الله لم يفرض أحدا في أن يفرض على أي إنسان ديننا معيننا، ثم ان قوة الدين الحق كامنة في اقتناع العقل ، أي كامنة في باطن الإنسان » (locke, 1960, p18)

إن جوهر التسامح يكمن في الاعتراف بالآخر واحترام حقوقه الأساسية وحرية في الاعتقاد والتفكير، والإقرار بأن المعرفة والحقيقة أمور نسبية، وبأنها ليست حكرا على طرف دون آخر، وبأن الاختلاف والتنوع الثقافي سمة طبيعية بين البشر والتسليم بذلك سوف تحقق نوعا من الشعور بالسلام تجاه الذات... بحيث ينتفي معه العنف والاستهزاء والتعصب تجاه الآخر، فيشعر الجميع بحق الحياة بسلام ووثام.

واستدل "فولتير" بشواهد من التاريخ، فقد عرفت الحضارات القديمة مثل حضارة اليونان واليابان أسى الممارسات في الأخوة والتسامح ونبت التعصب، بحيث كانت تلك المجتمعات تتعدد فيه المعتقدات وتحترم فيه الحريات الفكرية والدينية، يقول: « كان الدين يجمع بين البشر وتخفف أحيانا من شدة هيجانهم، ويبدو لي أنه ما من شعب من الشعوب القديمة والمتحضرة قد ضيق الخناق على حرية التفكير، كان لكل قوم دينهم » (مراد، 1994 ص 38) ويقول: « إن الشعوب التي أورثنا ... بعض المعلومات قد أجمعت على اعتبار دياناتها المختلفة وكأنها عرى تربط بينها: كانت بمثابة رابطة للجنس البشري، وقد وجد لديها ضرب من الضيافة بين الآلهة على غرار حق الضيافة بين البشر، فإذا ما وصل غريب إلى مدينة طفق يتعبد لآلهة البلد، حتى ألد الأعداء كانت تحترم وتجل » (فولتير، 2009 ص 49)، ثم يقرر بأن الدين وجد من أجل سعادة الانسان في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وليس لشقائه وفي الفصول الأخيرة من كتابه: رسالة في التسامح يدعو الى أن يتجاوز التسامح بين المسيحيين ليعم الكون بأسره واعتبار البشر اخوة يقول: « لا على المسيحيين أن يكونوا متسامحين فيما بينهم، غير أنني سأذهب إلى أبعد من ذلك، فأدعوهم الى اعتبار البشر جميعا إخوة لكم » (فولتير، 2009، ص 163) وفي الختام - متذرع بدعاء الى الله تعبيرا عن تضايقه من اقتتال الناس حول أمور تافهة، ودعوة مشتركة للتسامح لبناء مجتمع كوني مسالم وسعيد . «لم أعد إلى البشر أتوجه، بل إليك يا رب جميع الكائنات والعوالم والأزمان... أنت يا من رسم كل شيء ويا من قضاؤك ثابت سرمدي، أن تنظر بعين الرحمة والشفقة إلى الأخطاء والضلالات المترتبة عن طبيعتنا، ولا تسمح أن تكون هذه الأخطاء والضلالات سبب هلاكنا، أنت لم تمنحنا قلب كي نبغض بعضنا بعضا اجعلنا تتأزر لتحمل عبء حياة صعبة، وعابرة ... ولا تسمح بأن تغدو كل هذه الفوارق الطفيفة. علامات حقد واضطهاد... " أحبوا الله وأحبوا قريبكم " ... إن كنتم تشعلون نار الشقاق والفتنة بسبب كلمة واحدة فسوف أقول لكم عندها وأنا أذرف الدموع على الجنس البشري، انتقلوا معي إلى اليوم الذي سيقاضى فيه جميع البشر، يوم، يحاسب الله كل إنسان حسب أعماله » (فولتير، 2009، ص 166-169)

الأبعاد الإنسانية للتسامح:

تتمثل الأبعاد الإنسانية للتسامح في منظومة قيمية وسلوكية شاملة، يتجاوز مجرد العفو لتشمل الاحترام والقبول والتقدير للتنوع الثقافي والحضاري والتعايش السلمي، ونبت العنف بشتى أشكاله وتطبيق العدالة. فقد أرسى مفهوم التسامح في الفكر الغربي قوانين أكثر إنسانية فرضت على الدول أبعادا جديدة من التفكير وأعمال العقل الاستنباط مخارج تجنب البشرية العنف والتعصب، بحيث أصبح مفتاحا لحقوق الانسان والديمقراطية والسلم العالمي إذ أن المفهوم المعاصر للتسامح يقوم على كرامة الإنسان ومراعاة حقوقه الطبيعية

والمدينة من غير تمييز، لذا فقد سنت المعاهدات والمواثيق العالمية لحقوق الإنسان لتؤكد التلازم بين حقوق الإنسان والتسامح – وعلى هذا الأساس ربط الاعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن المؤتمر العام لليونسكو (UNESCO) (في عام 1995 بين حقوق الإنسان والتسامح والديمقراطية والسلم وقد حدد يوم 16 نوفمبر من كل عام للاحتفال باليوم العالمي للتسامح، بعد ما أقرته منظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم والثقافة (اليونسكو) في ذات العام، تأكيداً لأهمية التسامح كقيمة أساسية للسلم العالمي ويهدف هذا اليوم إلى تعزيز ثقافة الحوار واحترام التنوع الثقافي والديني والفكري ، ونبذ العنف والتطرف، باعتبار التسامح ركيزة من ركائز العدالة والحرية وحقوق الإنسان. وقد جاء تخصيص هذا اليوم وتخليده بعد أن عاش العالم في تسعينيات القرن الماضي تصاعدا رهيبا في الحرب العرقية والدينية وأعمال التطرف، خاصة بعد انتهاء الحرب الباردة، إذ شهدت مناطق عدة ماسي إنسانية بسبب الكراهية والتمييز.

وقد حددت منظمة اليونسكو مفهوم التسامح بشكل دقيق تشمل جميع المجالات والأبعاد، وقد ورد كما يلي: «إن التسامح يعني الاحترام والقبول والتقدير للتنوع الثري لثقافات عالمنا ولأشكال التعبير، ويتعزز هذا التسامح بالمعرفة والانفتاح والاتصال وحرية الفكر والضمير والمعتقد انه الوثام في سياق الاختلاف، وهو ليس واجبا أخلاقيا فحسب، وانما هو واجب سياسي وقانوني أيضا، والتسامح هو الفضيلة التي تيسر قيام السلم الذي يسهم في احلال ثقافة السلام محل ثقافة الحرب» (ميثاق الأمم المتحدة، 1996، ص 7)

نلاحظ في هذا التعريف أن أبرز ما تضمنه، هو تحول التسامح من معناه الأخلاقي كما كان لدى فلاسفة الأنوار إلى معناه السياسي والقانوني، بحيث أصبح التسامح مسؤولية تشكل أساسا لحقوق الإنسان والتعددية الثقافية والديمقراطية وسيادة القانون، كما تضمن رفض الدغمائية والاستبدادية، وتأكيد المعايير الدولية الخاصة بحقوق الإنسان.

إن ثقافة التسامح تعد الإطار المجتمعي الذي يعزز الديمقراطية والمبدأ الأساس الذي يحكم علاقات الناس بعضهم ببعض في المجتمع الديمقراطي عامة، ويقوم ذلك الإطار بتوفير الأجواء المناسبة للتفاعل الخلاق بين أفراد الشعب ومؤسساته المجتمعية وفق مبدأ الاحترام المتبادل.

ومن هذا المنطلق أكد المؤتمر الدولي لحقوق الإنسان الذي عقد في فيينا يونيو 1993م أهمية إدراج موضوع حقوق الإنسان في برامج التعليم – مشيرا إلى أنه ينبغي للتعليم أن يعزز التفاهم والتسامح والسلام والعلاقات الودية بين الأمم والمجتمعات العرقية والدينية. وقد استجابت المجتمعات الديمقراطية المعاصرة لهذه الدعوة، بحيث أصبحت تولي اهتماما بالغا بتعليم قيم التسامح والاحترام وقبول الرأي الآخر واغناء ثقافة الحوار في الأطر الاجتماعية المختلفة بداية من الأسرة والمدرسة والنوادي الثقافية والأحزاب السياسية إلى ما يجعل العلاقة بين الديمقراطية وثقافة التسامح علاقة وثيقة، فالافتقاد لقبول التسامح لا يمكن تداول السلطة وممارسة الحقوق والحريات، ولا مجال لمشاركة المواطنين في إدارة شؤونهم والإسهام في صنع القرار السياسي (نبيل، 1991، ص 5)

إن التسامح يشارك الديمقراطية في تمكين الأقلية السياسية أو الدينية أو الاثنية من الحضور في المؤسسات الديمقراطية، لا بناء على قوتها العددية فحسب، بل بناء أيضا وبالخصوص على حقوقها في أن تكون ممثلة تمثيلا يمكنها من سماع صوتها وممارسة حقها المشروع في الدفاع عن مصالحها (محمد عابد، 1997 ص 30)

أما التسامح الديني فيقصد به القبول واحترام المعتقدات الدينية والمذهبية الأخرى المختلفة والمخالفة، والتسامح تجاه معتنقيها والاعتراف بحق المرء في تبني أية ديانة أو مذهب، وتظهر ضرورة هذا النوع من التسامح في الظروف التي تسيطر فيها حركة دينية معينة على المجتمع وتضطهد أصحاب المعتقدات الدينية أو المذهبية الأخرى، (المعجم العالمي للمعتقدات الدينية، 2007، ص 636)

ويمكن البعد الديني للتسامح في تجسيد القيم والمبادئ الروحية والأخلاقية التي تحت على العفو وقبول الآخر المختلف في المعتقد الديني والتعايش السلمي، وهو متجذر في العقائد السماوية التي ترفض التعصب وتدعو الى الاحترام المتبادل، معتبرة أن الاختلاف سنة إلهية.

إن التنوع والاختلاف بين الناس أفرادا وجماعات لا يعد انحرافا بل هو الفطرة التي خلق بها البشر، وقد أكد القرآن الكريم على ضرورة هذا الاختلاف حتى يتمكن كل فرد وكل مجتمع من العيش حسب ما لديه من ارادة وحرية واختيار، يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود، 118]

فالله تعالى لو أراد أن يجمع الناس على الإيمان والهدى وعلى عقيدة واحدة لجمعهم على ذلك، إنه الفاعل القادر المختار، لكن ارادته شاءت أن يبقى الاختلاف بين الناس في العقائد والأديان على مر الزمان - مما يقتضي حتمية العيش المشترك في ظل الاحترام المتبادل، ونبذ العنف ونشر السلام والمحبة بين الأفراد والمجتمعات، أما بخصوص التسامح الفكري والثقافي، فهو يعني قبول واحترام آراء الناس المختلفة، ووجهات نظرهم حتى عند الاعتقاد بخطئها ... فالصواب، وفقا للتسامح الفكري، هو عدم الحكم على الطرف الآخر بخطئه أو صوابه، إنما مجرد الاعتراف بحقه في امتلاك طريقة تفكير مختلفة مع امكانية الخوض في نقاشات فكرية قائمة على الاحترام.

إن احترام آراء الآخرين من شأنه تعزيز مشاعر الأمان وترسيخ ثقافة الحوار العقلاني محاولة حضارية لتعزيز التعايش السلمي

أما التسامح الثقافي فهو احترام وقبول التنوع الثري لثقافات العالم وأشكال التعبير والصفات الانسانية عبر الانفتاح والتعايش السلمي ونبذ التعصب، والاعتراف بحق الآخرين في الاختلاف الثقافي والاجتماعي والديني، ولا يعني التنازل عن القيم الشخصية، بل ممارسة الحوار والتعايش في إطار الحقوق الانسانية والمدنية، ورفض النظرة الاستعمارية أو التمييز ضد أصحاب الثقافات الأخرى المغايرة.

إن ثقافة التسامح والحوار البناء تعلم الانسان حسن الاستماع للمخالف وتعزز الأخوة الانسانية بين كافة البشر لأن مهما يتم تضيق هوة الخلاف وتقريب وجهات النظر وإيجاد الحل الوسط الذي يرضي الأطراف في زمن كثر فيه التباغض، والتناحر والتشاجر.

وخلاصة القول، "إن التنوع الانساني سنة كونية، ويتطلب هذا التنوع والاختلاف اللذان تقتضيهما سنة الحياة والفروق الفردية والذهنية التسامح الذي يعد شرطاً مهماً لإغناء العقل بخصوبة الرأي والاطلاع على عدد من وجهات النظر ورؤية الأمور من أبعاد وزوايا مختلفة" (عبد الله، 2004، ص 182)، بقدر ما هو شرط أيضاً لمواجهة التشدد والتعصب والانغلاق والعداء والافراط في الاعتقاد بالتفوق على الآخرين لاسيما في الأفكار والمعتقدات الدينية والسياسية والثقافية.

نتائج البحث:

- يعد التسامح عند "فولتير" منظومة فكرية إنسانية شاملة تركز على نبذ التعصب، وخاصة الديني منه، وتحكيم العقل وضمان حرية المعتقد، وتجاوز الخلافات الدينية لتحقيق السلم المدني. اعتبر "فولتير" أن التسامح نتيجة طبيعية للإنسانية، فالكُل، كما يقول، مخلوق من الضعف والخطأ، لذا يجب الصّحّح والمغفرة، وهذا ما يجعل التسامح عنده، فضيلة عقلية، تنبثق من العقل المشترك بين جميع الناس، وليس مجرد فريضة دينية.
 - ركّز "فولتير" على حرية الضمير والمعتقد، وحارب التعصب الذي يحول الدين إلى أداة للشقاء بدل أن يكون وسيلة للسعادة، مشدداً أن الاختلاف في العقيدة والتفكير لا يبرر الاضطهاد والتعسف.
 - إن خطاب "فولتير" التسامحي لم يأت من فراغ، ولم يكن تجريدياً، وإنما هو خطاب واقعي مستند إلى وقائع تاريخية هزت الضمير الفرنسي والمتمثلة في اعدام (جان كالايس) ظلماً وبهتاناً.
 - حققت «رسالة في التسامح» لـ "فولتير" نجاحاً باهراً على الصعيد الداخلي الفرنسي، ثم على الصعيد الأوروبي، حيث أسهمت في تجاوز حالات التعصب والعنف التي كانت بين المذاهب الدينية، لتنتقل أوروبا إلى حالة التعايش والسلم.
 - تتلخص فلسفته في عبارته المشهورة: «لكن شديد التسامح مع من خالفك الرأي، فإن لم يكن رأيه صائباً، فلا تكن أنت على خطأ بتشبثك برأيك».
 - أحدثت فلسفة التسامح عند فولتير تأثيراً عميقاً في المجتمعات الأوروبية حيث ناهضت التعصب الديني والكهنوتي. ومهدت الطريق للعلمانية وحرية التعبير، ودعمت قيم العدالة وحقوق الإنسان والتي لا زالت حاضرة بقوة حتى اليوم.
- خاتمة:

تبين من خلال هذا البحث مدى قيمة التسامح في تأسيس أرضية العيش المشترك، الذي ينطوي على معنى التعايش السلمي من هذا المنطلق، فإن دعوة «فولتير للتسامح» كان هدفه تشكيل الوعي بقيم التسامح ومحاربة التعصب بكل أشكاله، خاصة الديني منه، ومن هنا تبدو أفكار "فولتير" راهنية وتمتلك مشروعية التعاطي معها في عالم لا زال يعيش التعصب الديني والعنف المذهبي. وقد بات التسامح اليوم مبنياً على القانون الانساني الذي يعترف بحق الناس في التعدد في العقائد والأفكار والرؤى وأنماط الوجود على الأرض، من دون أن يؤدي ذلك الى المساس بكرامة الناس وحريةهم أو التضييق على قناعاتهم الدينية.

لقد غرس "فولتير" في أرض الوعي الأوروبي بذور التسامح والحرية وأجتث منها التعصب والاضطهاد، بحيث بات التسامح السبيل الوحيد الذي يوجه الإنسانية نحو تحقيق السلم والوئام على اعتبار أنه قيمة إنسانية تنبثق من العقل تعزز التعايش بين الأفراد والثقافات والأمم وتحقق سعادة الانسان.

إننا اليوم في أشد الحاجة إلى تفعيل مبدأ التسامح وأخذه من طوره النظري البحث إلى طور التشغيل التطبيقي، ذلك لأن المجتمعات المعاصرة بحاجة إلى هذا التسامح الذي فيه وحده يتم القبول بالآخر المختلف، والتعايش معه بإيجابية ومرونة حقيقية ، فالتقارب بين الأمم والحضارات والثقافات أصبح واقعا ، بفعل ثورة الاتصالات التي جعلت العالم ليس مجرد قرية بل "غرفة واحدة" يستوطنها الجميع، مزيلة كافة الحواجز المكانية والزمانية من هؤلاء الجماهير الغفيرة المتباينة في اللغة والدين والثقافة والعادات والتقاليد ، الخ ، الأمر الذي يدفع بهؤلاء إلى ايجاد مساحات مشتركة مع غيرهم لتحقيق مصالحهم الفردية والمشاركة، والمضي بهم بسلام وأمان إلى المستقبل المشرق الذي يحقق سعادة الجميع والذي لا يتم الا بتبني قيم التسامح.

قائمة المراجع:

القرآن الكريم.

-أندري كريستوف، فولتير، حياته، آثاره، فلسفته، ترجمة: صباح محيي الدين، ط2، منشورات عديدا، بيروت، 1984.

-أركون محمد، قضايا في نقد العقل الديني (كيف تفهم الإسلام اليوم)، ترجمة: هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط2، بيروت، 2000.

-أنجلو ياكو بوتشي، مايكل، أعداء الحوار: أسباب اللاتسامح ومظاهره، ترجمة: عبد الفتاح حسن، تقديم: أمبرتو ايكو، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2010.

-الجابري محمد عابد، قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997.

-عبد الله علي العليان، حوار الحضارات في القرن الواحد والعشرون، رؤية إسلامية للحوار، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004.

-صالح نبيل، التعددية والتسامح، مؤسسة الناشر للخدمات الفنية، البيرة، ط1، 1996.

-فولتير، رسالة في التسامح، ترجمة: هنرييت عبودي، دار بترا للنشر والتوزيع، دمشق، 2009.

-الغرباوي ماجد، التسامح ومنابع اللاتسامح، فرص التعايش بين الأديان والثقافات، الحضارية للطباعة والنشر، بغداد، ط1، 2008.

-وهبة مراد، مدخل إلى التنوير، دارالعالم الثالث، مصر، دار النهج الجديد، ط1، الكويت، 1994.

-ميثاق الأمم المتحدة، مسائل حقوق الإنسان، A/51/205/1996، ص7.

-لوكليز جوزيف، تاريخ التسامح في عصر الإصلاح، ترجمة: جورج سليمان، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2009.

-هاشم صالح، مدخل إلى التنويرالأوربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 2005.

-ولد يورانت، قصة الفلسفة، من أفلاطون إلى جون ديوي، فتح الله المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، 1979.

المعاجم:

-أندري لا لاند، القاموس الفلسفي، ترجمة: خليل أحمد خليل، ط2، عويدات للنشر والتوزيع، بيروت، باريس، مج: 3، 2002.

-صليبا جميل، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978.

-فولتير، القاموس الفلسفي، ترجمة: يوسف نبيل، مؤسسة هنداوي، 2017.

-المعجم العلمي للمعتقدات الدينية، ترجمة وتعريب: سعد الفيشاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2007.

المجلات:

-سليمان عبد الجليل، التسامح الغربي وانعكاساته على الآخر، الإسلاموفوبيا بفرنسا أنموذجا، مجلة: جيل للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 95، 2023، ص 91.

-شقيير صالح، ساطع نسيب رضوان، تفعيل مفهوم التسامح فلسفيا، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 36، العدد5، ، 2014، ص 139.

المواقع الالكترونية:

-بوسعيدان محمد: من فكرة التسامح إلى حقوق الانسان، بحث محكم، قسم الفلسفة والعلوم الانسانية، مؤمنون بلا حدود للدراسات والابحاث، 2021، <https://www.mominoun.com>

-الميلاد زكي، فولتير وقول في التسامح، صحيفة اليوم: 10/04/2016

<https://www.alyoum.com>

-ماين إبراهيم، فولتير، نبذ التعصب والدعوة إلى التسامح، موقع التنويري، 8 جوان 2023

<https://www.altanweeri.net>

المراجع باللغة الاجنبية:

-The American Heritage Dictionary, (Boston Mass: C. Houghton Mifflin Company, 1976, p 135

-André versaille, Dictionnaire de la pensée de voltaire, Paris, 1994.

-Locke. A Letter concerning Tolération, the Literal, Arts, press, Newyork. 1960.

-Jason Cohen, Andrew, what Tolera... Is, ethics, October, 2004, P115.